# التيسير
# لتفسير ابن كثير

للدكتور عبد الله بن محمد بن إسحاق آل الشيخ

راجع الطباعة وصححها
الدكتور عبد الكريم أمين عثمان النواوي

الجزء الأول

## مقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن هادياً لنا واليه سبيلا ، وبعث به الينا محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم معلماً ورسولا ، وجعله معجزة له ما بقي الدهر سرمداً طويلًا ، وحفظه فلم يقدر معطلٌ ولا معاندٌ أن يُحْدِثَ فيه تغييراً ولا تبديلًا ، صلى الله عليه وعلى آله مدى الدهر بكرة وأصيلا .

وبعد

فلما كان القرآن الكريم كلام ربنا ومعجزة نبينا ، ومنبع العلوم والمعارف كان على كل مسلم مؤمن عاقل قراءته ودراسته ، وتفهمه وتلاوته ، وعلى قدر ذلك يكون عمله وايمانه ، وتوحيده واسلامه . قال صلى الله عليه وسلم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ، وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله تبارك وتعالى (من شغله قراءة القرآن عن دعائي، ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين)» . وقال صلى الله عليه وسلم في حديث عليّ كرم الله وجهه : «والذي بعثني بالحق نبياً لتفترقن أمتي عن أهل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة ، كلها ضالة مضلة ، يدعون الى النار، فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل، فإن فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ، ومن ابتغى العلم في غيره

أضله الله عز وجل، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وشفاؤه النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيُقَوَّم، ولا يزيغ فيستقيم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يُخْلِقُهُ كثرة الترديد.

واذا كانت قراءة القرآن وتفهمه أفضل الأعمال فقد اتجه العزم الى تفسير القرآن الكريم تفسيراً لا مجال للرأي فيه، حيث ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من فسر القرآن لرأيه فليتبوأ مقعده من النار».

ولما كان تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ محققاً لهذه الغاية متميزاً بوضوح التعبير وسلامة الأسلوب، وتحرى الدقة والامانة فيما أثبته في كتابه من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين التي استعان بها على تفسيره مشيراً إلى ما أخذ على بعض الأحاديث من مآخذ في لفظها أو سندها كل ذلك بعبارة سمحة واسلوب سهل مع ما فيه من المزايا الأخرى التي لا يتسع المجال لاستقصائها. لهذا كان موضع التقدير والإعجاب من العلماء والطلاب والراغبين في فهم القرآن الكريم فهماً يليق بجلاله ويشعرهم بلذة تلاوته، فيقبلون عليها في نهم وشغف.

ولقد حرص هذا الإمام الجليل على تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة النبوية الشريفة ثم بأقوال الصحابة والتابعين عليهم رضوان الله أجمعين فأورد كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود ومجاهد والحسن البصري وسعيد بن المسيب، وغيرهم كثير، فجاء تفسيره مطولاً طولاً لا يسمح لكثير ممن شغلتهم ظروف الحياة الحاضرة ومتطلباتها الكثيرة

عن الاقبال على هذا التفسير الجليل، فرأيت أن من المناسب تسهيل قراءته لجميع الراغبين في فهم القرآن الكريم ودراسته دراسة ميسورة ليس فيها إطالة صارفة، ولا ايجازاً مخلاً، فسلكت لذلك الطريقة الآتية:

**أولاً**: الاكتفاء ببعض الآيات التفسيرية المحققة للغرض.
**ثانياً**: الاقتصار على بعض ما أورده من الأحاديث النبوية مع الاكتفاء من السند باسم الصحابي الذي روى عنه الحديث.
**ثالثاً**: الاكتفاء ببعض ما ذكره من أقوال التابعين عليهم رضوان الله أجمعين وحذف ما لا يدعو فهم القرآن الكريم الى ذكره.
**رابعاً**: حذف الروايات الإسرائيلية، إذ في الآثار الصحيحة ما يغني عن الاستشهاد بها.
**خامساً**: الاقتصار على الضروري من الأحكام والاختلافات الفقهية.

وقد أسميته «التيسير ـ لتفسير ابن كثير» راجياً من الله العلي القدير أن يحقق به النفع وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم نافعاً لكل من يريد الثواب من تلاوة كتابه العظيم، وفهم آيات الذكر الحكيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن اسحاق آل الشيخ

# بسم اللهِ الرحمٰن الرحيمْ

(قال الشيخ الإمام الأوحد، البارع الحافظ المتقي، عماد الدين أبو الفداء: إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير، الشافعي، رحمه الله تعالى ورضي عنه).

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿**الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين**﴾ وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى: ﴿**الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾ واختتمه بالحمد فقال بعد ما ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار ﴿**وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين**﴾، هو المحمود في ذلك كله كما يقول المصلي «اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد» ولهذا يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده لما يرون من عظيم نعمه عليهم، وكمال قدرته وعظيم سلطانه وتوالي مننه ودوام إحسانه اليهم.

والحمد لله الذي أرسل رسله ﴿**مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ وختمهم بالنبي الأمي العربي المكي الهادي لأوضح السبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن من لدن بعثته إلى قيام الساعة. فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن مبلغاً لهم عن الله تعالى ما

أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم إلى فهمه فقال تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾.

(فالواجب) على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون**﴾.

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ (فالجواب) أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» يعني السنة. والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن، وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم. عن مسروق قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: (والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته).

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، قال عبد الله يعني ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه، في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح وعمر بعده عبد الله بن عباس ستاً وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود، وقال الأعمش عن أبي وائل استخلف عليّ عبد الله بنَ عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية سورة النور، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا.

ولهذا، غالب مايرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، في تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم مايحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو، ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام **(أحدها)** ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح. **(والثاني)** ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه. **(والثالث)** ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم.

**(فصل)** إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين

كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير كما قال محمد بن إسحق، ثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام. عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعدة من النار»، وعن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ». ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، عن ابن معمر قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (وفاكهة وأبا) فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا لهو التكلف يا عمر، وعن ابن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة؟ فقال له ابن عباس: فما ﴿**يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾؟ فقال له الرجل إنما سألتك لتحدثني، فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم، وقال ابن شوذب حدثني يزيد بن أبي يزيد قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال وكان أعلم الناس فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع. عن الشعبي عن مسروق قال اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله.

فهذه الآثار الصحيحة، وما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير، بما لا علم لهم فيه. فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه، مما

يعلمه، لقوله تعالى: ﴿**لتبيننه للناس ولا تكتمونه**﴾ ولما جاء في الحديث الذي روي من طرق «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار». عن أبي الزناد قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله. وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام ـ لا يعذر أحد بالجهالة به، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب».

# مقَدّمة

**(مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة)**

عن قتادة قال: نزل في المدينة من القرآن البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق و ﴿**يا أيها النبي لم تحرم**﴾ إلى رأس العشر، وإذا زلزلت و ﴿**إذا جاء نصر الله**﴾ هؤلاء السور نزلت بالمدينة، وسائر السور بمكة.

فأما عدد آيات القرآن العظيم، فستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زادعلى ذلك على أقوال: فمنهم من لم يزدعلى ذلك، ومنهم من قال ومائتي آية وأربع آيات، وقيل وأربع عشرة آية. وقيل ومائتان وتسع عشرة آية وقيل ومائتان وخمس وعشرون آية، أو ست وعشرون آية، وقيل ومائتان وست وثلاثون، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان. وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان، عن عطاء بن يسار، سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة، وأما حروفه، فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد هذا ما أحصينا من القرآن وهو ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفاً.

وأما (التحزيب والتجزئة)، فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين، كما في الربعات بالمدارس وغيرها.

**(فصل)** واختلف في معنى السورة مما هي مشتقة فقيل من الإبانة والارتفاع قال النابغة:

ألـــم تر أن الله أعـــطاك سورة  ترى كل ملك دونهـا يتـذبـذب

فكـان القـارىء ينتقـل بهـا من منـزلة إلى منزلة. وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلدان وقيل سميت سورة، لكونها قطعة من القرآن، وجزءاً منه. وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها، عن الذي بعدها، وانفصالها أي هي بائنة عن أختها، ومنفردة قال الله تعالى: ﴿**إن آية ملكه**﴾.

وقيل سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها، وأما الكلمة، فهي اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل ما ولا ونحو ذلـــك. وقـــد تكـــون أكثـر، وأكثـر ما تكـون عشـرة أحـرف مثـل ﴿**ليستخلفنهم**﴾ و ﴿**أنلزمكمـوهـا**﴾ ﴿**فـأسقينـاكمـوه**﴾. وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل والفجر والضحى والعصر.

(**فصل**) قال القرطبي: أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كإبراهيم ونوح ولوط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

يقال لها الفاتحة، أي فاتحة الكتاب خطا، وبها تفتح القراءة في الصلوات، ويقال لها أيضاً أم الكتاب، عند الجمهور، ذكره أنس، والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين: (إنما ذلك اللوح المحفوظ) وقال الحسن: (الآيات المحكمات هن أم الكتاب ولذا كرها أيضاً أن يقال لها أم القرآن) وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم»، ويقال لها (**الحمد**) ويقال لها (**الصلاة**) لقوله ﷺ عن ربه: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي» الحديث. فسميت الفاتحة صلاة، لأنها شرط فيها، ويقال لها (**الشفاء**) لما رواه الدارمي عن أبي سعيد مرفوعا «فاتحة الكتاب شفاء من كل سم» ويقال لها (**الرقية**) لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقي بها الرجل السليم فقال له رسول الله ﷺ: «وما يدريك أنها رقية»؟ وروى الشعبي عن ابن عباس أنه سماها (**أساس القرآن**) قال: (وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم) وسماها سفيان بن عيينة (**بالواقية**) وسماها يحيى بن أبي كثير (**الكافية**) لأنها تكفي عما عداها ولا يكفي ما سواها عنها كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة «أم القرآن عوض من غيرها وليس من غيرها عوض منها» ويقال لها **سورة الصلاة والكنز** ذكرهما الزمخشري في كشافه.

وهي مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية، وقيل مدنية، قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري، ويقال نزلت مرتين، مرة بمكة، ومرة بالمدينة. والأول أشبه لقوله تعالى: ﴿**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني**﴾ والله تعالى أعلم؛ وحكى أبو الليث السمرقندي، أن نصفها نزل بمكة، ونصفها الآخر نزل بالمدينة، وهو غريب جداً، نقله القرطبي عنه، وهي سبع آيات بلا خلاف، وقال عمرو بن عبيد ثمان، وقال حسين الجعفي ستة وهذان القولان شاذان، وإنما اختلفوا في البسملة، هل هي آية مستقلة من أولها، كما هو عند جمهور قراء الكوفة، وقول جماعة من الصحابة والتابعين، وخلق من الخلف، أو بعض آية، أو لا تعد من أولها بالكلية، كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء، على ثلاثة أقوال، كما سيأتي تقريرها في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

قالوا وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفاً. قال البخاري في أول كتاب التفسير وسميت أم الكتب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة، وقيل إنما سميت بذلك، لرجوع معاني القرآن كله، إلى ما تضمنته. وصح تسميتها بالسبع المثاني، قالوا: لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رب العالمين سبع آيات: بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أم الكتاب، وفاتحة الكتاب».

**(ذكر ما ورد في فضل الفاتحة)**

عن أبي سعيد بن المعلي رضي الله عنه قال: كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت قال: فأتيته فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» قال قلت: يا رسول الله إني كنت أصلي قال: ألم

يقل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ ثم قال: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» قال: فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قال: «نعم، ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي نصفين. قال البخاري في فضائل القرآن حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وهب حدثنا هشام عن محمد بن معبد عن أبي سعيد الخدري قال: كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم وإن نفرنا غيب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبه برقيه فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبناً فلما رجع قلنا له أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي؟ قال: لا ما رقيت إلا بأم الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئا حتى نأتي ونسأل رسول الله ﷺ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: «وما كان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم»، عن ابن عباس قال بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفا منها إلا أوتيته.

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وله ما سأل فإذا قال العبد ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ قال حمدني عبدي وإذا قال ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ قال أثني على عبدي. ثم قال هذا لي وله ما بقي» وهذا غريب من هذا الوجه.

**(الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه)**

**(أحدها)** أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة كقوله تعالى: ﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**﴾ أي بقراءتك كما جاء مصرحاً به في الصحيح عن ابن عباس، فدل هذا كله على أنه لابد من القراءة في الصلاة وهو اتفاق من العلماء، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في الوجه الثاني، وذلك أنه هل يتعين للقراءة في **الصلاة فاتحة الكتاب أم تجزىء هي أو غيرها؟ على قولين** مشهورين فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم؛ أنها لا تتعين بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة.

**(والقول الثاني)** أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزىء الصلاة بدونها؛ وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء.

ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة. وقال آخرون: إنما تجب قراءتها في معظم الركعات وقال الحسن وأكثر البصرين: إنما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات.

**(والوجه الثالث)** هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء **(أحدها)** أنه تجب عليه قراءتها كما تجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدمة **(والثاني)** لا تجب على المأموم قراءة بالكلية للفاتحة ولا غيرها لا في صلاة الجهرية ولا في صلاة السرية لما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» ولكن في إسناده ضعف. ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه؛ وقد روى هذا الحديث من طرق، ولا يصح شيء منها عن النبي ﷺ،

والله أعلم. **(والقول الثالث)** أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم، ولا يجب ذلك في الجهرية، لما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا؛ وإذا قرأ فأنصتوا»، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت».

## (تفسير الاستعاذة وأحكامها)

قال تعالى: ﴿**ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم**﴾. إن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة، به من العدو الشيطاني، لا محالة، إذ لا يقبل مصانعة، ولا إحساناً، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل، كما قال تعالى: ﴿**يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة**﴾، وقال تعالى: ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**﴾.

قالت طائفة من القراء، وغيرهم، يتعوذ بعد القراءة، واعتمدوا على ظاهر سياق الآية، ولدفع الاعجاب بعد فراغ العبادة، عن مالك رحمه الله، أن القارىء يتعوذ بعد الفاتحة. والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها. عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل

فاستفتح صلاته وكبر قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك ـ ثم يقول ـ لا إله إلا الله ـ ثلاثاً ثم يقول ـ أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم. من همزه ونفخه ونفثه»، وقد فسر الهمز بالموتة وهي الخنق، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر. عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: تلاحى رجلان عند النبي ﷺ فتمزع أنف أحدهما، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم شيئاً لو قاله لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». قال سليمان بن صرد رضي الله عنه: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وقد روي أن جبريل عليه السلام، أول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ، أمره بالاستعاذة. عن عبد الله بن عباس قال: أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال «يا محمد استعذ» قال «أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» ثم قال «قل بسم الله الرحمن الرحيم» ثم قال ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾.

(**مسألة**) وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها، وحكى الرازي، عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة، وخارجها، كلما أراد القراءة. قال: وقال ابن سيرين: إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في أسقاط الوجوب واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية ﴿**فاستعذ**﴾ وهو أمر ظاهره الوجوب، وبمواظبة النبي ﷺ ولأنها تدرأ شر الشيطان، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولأن الاستعاذة أحوط، وهو أحد مسالك الوجوب. وقال بعضهم: كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته، وحكى عن مالك أنه لا يتعوذ